

أيهما قلبك؟

حقوق الطبع لكل مسلم
الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

دار الإمام البخاري
قطر - الدوحة
جوال: ٩٧٤٥٥٧٢٠٠٥٨
فاكس: ٩٧٤٤٤٦٨٥٥٨٨
Email: albukharibooks@gmail.com

أيهم قلبك؟

بقلم

أبي عبد الله حمزة النايلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۚ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣).

^(١) [آل عمران: ١٠٢]

^(٢) [النساء ١]

^(٣) [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

أيها الأحبة خلق الله قلوب العباد على هيئة واحدة، عضلة متحركة لا تتوقف إلا بموت صاحبها.

وعلى الرغم من تشابه القلوب في الشكل إلا أن الله سبحانه وتعالى جعلها على أقسام تختلف من جهة أصحابها، وأيضا من جهة حالها وصفاتها. فأما من جهة أصحابها فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- قلوب المؤمنين.

٢- قلوب الكفار.

٣- قلوب المنافقين.

وأما من جهة حالها وصفاتها فهي أيضا تنقسم إلى:

١- القلب الحي: وهو القلب السليم.

٢- والقلب الميت: وهو قلب الكافر والمنافق.

٣- والقلب المريض: إما بشبهة أو بشهوة.

وهذه القسمة الثلاثية قد دلت عليها النصوص الشرعية، قال تعالى ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ١ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ

رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ^ق وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ^(١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - تعليقا على هذه الآية: "جعل الله القلوب ثلاثة أقسام: قاسية، وذات مرض، ومؤمنة محبته، وذلك لأنها إما أن تكون يابسة جامدة لا تلين للحق اعترافا وإذعانا أو لا تكون يابسة جامدة.

فالأول: هو القاسي وهو الجامد اليابس بمنزلة الحجر لا ينطبع ولا يكتب فيه الإيمان، ولا يرسم فيه العلم لأن ذلك يستدعى محلا لنا قابلا.

والثاني: لا يخلو إما أن يكون الحق ثابتا فيه لا يزول عنه لقوته مع لينة، أو يكون لينة مع ضعف وانحلال فالثاني هو الذي فيه مرض والأول هو القوي اللين، وذلك أن القلب بمنزلة أعضاء الجسد كاليد مثلا، فأما أن تكون جامدة يابسة لا تلتوي ولا تبطش، أو تبطش بعنف، فذلك مثل القلب القاسي، أو تكون ضعيفة مريضة عاجزة لضعفها ومرضها، فذلك مثل الذي فيه مرض، أو تكون باطشة بقوة ولين، فهو مثل القلب العليم الرحيم، فبالرحمة خرج عن القسوة وبالعلم خرج عن المرض، فإن المرض من الشكوك والشبهات، ولهذا وصف من عدا هؤلاء بالعلم والإيمان والإخبارات" ^(٢).

و أشار إلى نحو هذه القسمة أخذا من هذه الآيات أيضا العلامة ابن القيم

- رحمه الله - حيث قال: "والقلوب ثلاثة:

- قلب قاس: وهو اليابس الصلب الذي لا يقبل صورة الحق، ولا تنطبع فيه.

^(١) [الحج: ٥٣ - ٥٤]

^(٢) مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٧٠ - ٢٧١)

- وضده القلب اللين المتماسك وهو: السليم من المرض الذي يقبل صورة الحق بلينه ويحفظه بتماسكه.

- بخلاف المريض الذي لا يحفظ ما ينطبع فيه لميعانه ورخاوته كالمائع الذي إذا طبعت فيه الشيء قبل صورته بما فيه من اللين، ولكن رخاوته تمنعه من حفظها فخير القلب الصلب الصافي اللين فهو يرى الحق بصفائه ويقبله بلينه، ويحفظه بصلابته^(١).

وقال أيضا- رحمه الله- في سياق كلامه على هذه الآيات: "فجعل الله سبحانه وتعالى القلوب في هذه الآيات ثلاثة: قلبين مفتونين، وقلبا ناجيا، فالمفتونان: القلب الذي فيه مرض والقلب القاسي، والناجي: القلب المؤمن المخبت إلى ربه، وهو المطمئن إليه الخاضع له، المستسلم المنقاد"^(٢).

بعد أن عرفنا أيها الأحبة قسمة القلوب إجمالا ودلالة النصوص عليها، فلا بد الآن من معرفة كل قلب على وجه التفصيل مع ذكر صفاته وما يعتريه، ثم الإشارة إلى الدواء النافع له بإذن الله، إذا كان به أدواء.

(١) شفاء العليل (١/ ١٠٥ - ١٠٦)

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٤٧)

(١) القلب السليم:

إن سلامة قلب المؤمن وصفائه سبب لسعادته في الدنيا والآخرة، فلا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله بقلب حي سليم لا يشوبه درن من شبهة أو شهوة، قال جل وعلا: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۚ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٨﴾^(١) وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۝٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤﴾^(٢)

يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم والأمر الجامع لذلك: أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سواه وسلم من تحكيم غير رسوله ﷺ فسلم في محبة الله مع تحكيمه لرسوله ﷺ في خوفه ورجائه، والتوكل عليه والإنابة إليه والذل له وإيثار مرضاته في كل حال والتباعد من سخطه بكل طريق، وهذه هي حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده فالقلب السليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى: إرادة ومحبة وتوكلا وإنابة وإخبارات وخشية ورجاء وخلص عمله لله فإن أحب أحب في الله وإن أبغض أبغض في الله وإن أعطى أعطى الله وإن منع منع الله ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسوله ﷺ

^(١) [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]

^(٢) [الصافات: ٨٣ - ٨٤]

فيعقد قلبه معه عقداً محكما على الائتنام والافتداء به وحده دون كل أحد في الأقوال والأعمال... فهذه حقيقة سلامة القلب الذي ضُمنت له النجاة والسعادة^(١).

وقال الإمام ابن رجب -رحمه الله-: " فالقلب الصالح هو القلب السليم الذي لا ينفع يوم القيامة عند الله غيره، وهو أن يكون سليماً عن جميع ما يكرهه الله من إرادة ما يكرهه الله ويسخطه، ولا يكون فيه سوى محبة الله وإرادته، ومحبة ما يحبه الله وإرادة ذلك، وكرهه ما يكرهه الله، والنفور عنه"^(٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-: "القلب السليم معناه الذي سلم من الشرك والشك ومحبة الشر، والإصرار على البدعة والذنوب، ويلزم من سلامته مما ذكر، اتصافه بأضدادها من الإخلاص والعلم واليقين، ومحبة الخير، وتزيينه في قلبه وأن تكون إرادته ومحبه تابعة لمحبة الله وهواه تابعا لما جاء عن الله"^(٣).

✽ صفات القلب السليم:

ولقد وصف الباري سبحانه في كتابه العزيز القلب الحي السليم بصفات كثيرة يتميز بها عن غيره، منها:

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٤١)

(٢) فتح الباري لابن رجب (١/ ٢٠٨)

(٣) تفسير السعدي (ص ٥٤٢)

١ - الخشوع^(١)

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(٢).

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله -: "أي تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه"^(٣).

وقال ابن القيم -رحمه الله -: "دعاهم من مقام الإيمان إلى مقام الإحسان يعني: أما أن لهم أن يصلوا إلى الإحسان بالإيمان وتحقيق ذلك بخشوعهم لذكره الذي أنزله إليهم"^(٤).

^(١) الخشوع:

لغة: قال ابن فارس -رحمه الله -: "الخاء والشين والعين أصل واحد يدل على التطامن، يقال: خشع إذا تطامن وطأطأ رأسه". معجم مقاييس اللغة (١٨٢ / ٢)
وقال ابن منظور -رحمه الله -: "خشع يخشع خشوعاً، واختشع وتخشع رمى ببصره نحو الأرض، وغضبه، وخفض صوته". لسان العرب (٧١ / ٨)
اصطلاحاً: قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله -: "والخشوع: الخضوع لله تعالى والسكون والطمأنينة إليه بالقلب والجوارح". مجموع الفتاوى (٣١ / ٢٨)
وقال أيضاً -رحمه الله -: "الخشوع يتضمن معنيين أحدهما التواضع والذل والثاني السكون والطمأنينة". مجموع الفتاوى (٢٨ / ٧).
وقال ابن القيم -رحمه الله -: "هو الاستسلام للحكمين وهو الانقياد بالمسكنة والذل لأمر الله وقضائه". مدارج السالكين (٥٢٢ / ١)
والمقصود بالحكميين: الحكم الديني الشرعي فيكون الاستسلام له بعدم معارضته برأي أو شهوة، والحكم القدري الكوني والاستسلام له يكون بعدم تلقيه بالتسخط والكراهة والاعتراض.

^(٢) [الحديد: ١٦]

^(٣) تفسير ابن كثير (٣١١ / ٤)

^(٤) مدارج السالكين (٥١٠ / ٢)

ولقد كان الصحابي الجليل عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - "إذا قرأ هذه الآية بكى حتى يغلبه البكاء"^(١).

٢- الإخبات^(٢):

قال جل وعلا: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾^(٣) أي: فتخضع للقرآن قلوبهم وتذعن بالتصديق به والإقرار بما فيه^(٤).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: "ومن آثار الإخبات وجل القلوب لذكره سبحانه والصبر على أقداره والإخلاص في عبوديته والإحسان إلى خلقه"^(٥).

^(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١١٨/٧) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٣٠٥/١) من طريق نافع مولى ابن عمر قال: "كان ابن عمر إذا قرأ.... فذكره".
الإخبات:

لغة: أصله من الخَبَّت وهو المكان المنخفض والمطمئن من الأرض. لسان العرب لابن منظور (٢٨/٢)، مدارج السالكين لابن القيم (٣/٢)

اصطلاحاً: قال قتادة - رحمه الله -: "الإخبات: الخشوع والتواضع". الدر المنثور للسيوطي (٤١٤/٤)
وقال ابن القيم - رحمه الله -: "فالإخبات سكون الجوارح على وجه التواضع والخشوع لله".
شفاء العليل (١٠٦/١)

وقال أيضاً - رحمه الله - بعد أن ذكر أقول العلماء في معنى الإخبات: "وهذه الأقوال تدور على معنيين: التواضع والسكون إلى الله عز وجل". مدارج السالكين (٣/٢)
وقال أيضاً - رحمه الله -: "والإخبات له جامع لمقام المحبة والذل والخضوع، لا يكمل أحدها دون الآخر إخباتا". مدارج السالكين (١٥٣/١)

[الحج: ٥٤]

^(٢) تفسير الطبري (١٩٢/١٧)

^(٣) شفاء العليل (١٠٦/١)

٣- اللين^(١):

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٢).

قال البغوي - رحمه الله -: "أي لذكر الله أي إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله وإذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم كما قال الله تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٣) وحقيقة المعنى: أن قلوبهم تقشعر من الخوف وتلين عند الرجاء"^(٤).

وقال ابن كثير - رحمه الله -: "أي هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز الغفار لما يفهمون منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لما يرجون ويؤمنون من رحمته ولطفه فهم مخالفون لغيرهم من الكفار"^(٥).

وقال الشيخ ابن سعدي - رحمه الله -: "أي: عند ذكر الرجاء والترغيب

^(١) قال ابن فارس - رحمه الله -: "اللام والياء والنون كلمة واحدة وهي: اللين ضد الخشونة".

معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٢٥)

ومنه القول اللين: "وهو القول الذي لا خشونة فيه". تفسير القرطبي (١١/ ٢٠٠)

^(٢) [الزمر: ٢٣]

^(٣) [الرعد: ٢٨]

^(٤) تفسير البغوي (٤/ ٧٦)

^(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٥١ - ٥٢)

فهو تارة يرغب لعمل الخير، وتارة يرهبهم من عمل الشر^(١).

✽ الوجل^(٢):

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٣).

قال القرطبي - رحمه الله -: "وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف

والوجل عند ذكره وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه"^(٤).

وقال ابن كثير - رحمه الله -: "قال مجاهد "وجلّت: أي فزعت وخافت"^(٥).

قال الشيخ ابن سعدي - رحمه الله -: "أي: خافت ورهبت، فأوجبت لهم

خشية الله تعالى، الانكفاف عن المحارم، فإن خوف الله تعالى، أكبر علاماته أن

يحجز صاحبه عن الذنوب"^(٦).

^(١) تفسير السعدي (ص ٧٢٣)

^(٢) الوجل: الفزع والخوف. لسان العرب (١١/٧٢٢)

قال ابن القيم - رحمه الله -: "وأما الوجل فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أو لرؤيته". مدارج السالكين (١/٥١٣)

^(٣) [الأنفال: ٢]


^(٤) تفسير القرطبي (٧/٣٦٥)

^(٥) تفسير ابن كثير (٢/٢٨٦)

^(٦) تفسير السعدي (ص ٣١٥)

* الاطمئنان^(١):

قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ

تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾  ^(٢)

قال البغوي - رحمه الله -: "تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين"^(٣).

^(١) الطمأنينة:

لغة: السكون. لسان العرب (٢٦٨/١٣)

اصطلاحاً: قال ابن القيم: "هي سكون القلب إلى الشيء ووثوقه به، وهذا لا يكون إلا مع اليقين بل هو اليقين بعينه". الصواعق المرسلة (٧٤١/٢)
وقال أيضاً - رحمه الله -: "الطمأنينة سكون القلب إلى الشيء وعدم اضطرابه وقلقه". مدارج السالكين (٥٣٤/٢)

قد يقال، كيف تجتمع الطمأنينة والوجل في وقت واحد في قلب المؤمن؟

يقول البغوي - رحمه الله -: "الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وثوابه وكرمه". تفسير البغوي (١٨/٣)

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله -: "الطمأنينة بذكر الله تكون بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد، وصدق ما جاء به الرسول ﷺ فطمأنيتهم بذلك قوية لأنها لم تتطرقها الشكوك، ولا الشبه، والوجل عند ذكر الله تعالى يكون بسبب خوف الزيف عن الهدى، وعدم تقبل الأعمال، كما قال تعالى عن الراسخين في العلم ﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨] وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، وقال تعالى ﴿تَفَشَّعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، ولهذا كان ﷺ يقول في دعائه: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) رواه الترمذي (٢١٤٠) من حديث أنس ؓ. أضواء البيان (٢٥٩/٥)

^(٢) [الرعد: ٢٨]

^(٣) تفسير البغوي (١٧/٣)

وقال الشيخ ابن سعدي - رحمه الله - : "أي: حقيق بها، وحرى أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألد للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له"^(١).

✽ الإنابة^(٢):

قال تعالى ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾^(٣). قال الطبري - رحمه الله - : "بقلب تائب من ذنوبه راجع مما يكرهه الله إلى ما يرضيه"^(٤).

^(١) تفسير السعدي (ص ٤١٨)

^(٢) الإنابة:

لغة: الرجوع، يقول ابن فارس - رحمه الله - مادة (ن وب) كلمة واحدة تدل على اعتياد مكان ورجوع إليه. "معجم مقاييس اللغة" (٣٦٧ / ٥)

قال ابن الأثير - رحمه الله - : "أناب ينيب إنابة فهو منيب إذا أقبل ورجع". النهاية في غريب الحديث والأثر (١٢٢ / ٥)

اصطلاحاً: قال ابن القيم - رحمه الله - : "الرجوع إلى الله وانصراف دواعي القلب وجواذبه إليه". طريق الهجرتين (ص ١٧٣)

وقال أيضاً - رحمه الله - : "وحقيقة الإنابة عكوف القلب على طاعة الله ومحبة والإقبال عليه". الفوائد (ص ٣٦)

وكذلك من معاني التوبة في اللغة الرجوع، قال ابن فارس - رحمه الله - : "التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع". معجم مقاييس اللغة (٣٦٧ / ٥)

فإذا ما الفرق بين التوبة والإنابة؟

والمأمل لكلام ابن القيم - رحمه الله - في مدارج السالكين (١ / ٤٣٣) يشعر بأنه يفرق بين التوبة والإنابة، حيث جعل الإنابة أخص من التوبة، قال - رحمه الله - : "من نزل في منزل التوبة وقام في مقامها نزل في جميع منازل الإسلام فإن التوبة الكاملة متضمنة لها وهي مندرجة فيها ولكن لابد من إفرادها بالذكر والتفصيل تبيناً لحقائقها وخواصها وشروطها فإذا استقرت قدمه في منزل التوبة نزل بعده منزل الإنابة".

قال المباركفوري: "التوبة رجوع من المعصية إلى الطاعة والإنابة من الغفلة إلى الذكر". تحفة الأحوذني (٣٧٨ / ٩)

^(٣) [ق: ٣٣]

^(٤) تفسير الطبري (١٧٣ / ٢٦)

وقال البغوي - رحمه الله -: " مخلص مقبل إلى طاعة الله " ^(١).

عموما فصفات القلب الصحيح في كتاب الله عز وجل كثيرة جدا، والوصف الجامع لها هو السلامة.

ولقد ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - بعض العلامات التي تدل على صحة القلب وسلامته، منها:

- أن لا يفتر عن ذكر ربه ولا يسأم من خدمته ولا يأنس بغيره إلا بمن يدلّه عليه ويذكره به ويذاكره بهذا الأمر.

- أنه إذا فاته ورده - طاعة - وجد لفواته ألما أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده.

- أنه يشتاق إلى الخدمة - الطاعة - كما يشتاق الجائع إلى الطعام والشراب.

- أنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا واشتد عليه خروجه منها ووجد فيها راحتته ونعيمه وقرّة عينه وسرور قلبه.

- أن يكون همه واحدا، وأن يكون في الله.

- أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعا من أشد الناس شحا بهاله.

- أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل فيحرص على الإخلاص فيه والنصحية والمتابعة والإحسان ويشهد مع ذلك منة الله عليه فيه وتقصيره في حق الله.

ثم قال في ختام ذكرها: "وبالجملة فالقلب الصحيح: هو الذي همه كله في الله، وحبه كله له، وقصده له، وبدنه له، وأعماله له، ونومه له ويقظته له، وحديثه والحديث عنه أشهى إليه من كل حديث، وأفكاره تحوم على مرضيه ومحابه" ^(١).
نسأل الله أن يرزقنا وإياكم قلبا صحيحا سليما.

^(١) إغاثة اللفهان (١ / ١٤٧ - ١٤٨)

(٢) القلب الميت:

هذا القلب هو أفسد أنواع القلوب وأشرها، صاحبه والعياذ بالله بمنزلة الميت في قبره، قلب جامد يابس أشد قسوة من الحجارة، لا يقبل صورة الحق ولا تنطبع فيه، قلب مظلّم قد استراح الشيطان من إلقاء الوسوس إليه لأنه قد اتخذ بيتا ووطنا وتحكم فيه بما يريد وتمكن منه غاية التمكن

يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله- واصفا هذا القلب: " لا حياة به فهو لا يعرف ربه، ولا يعبد به بأمره، وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه، رضي ربّه أم سخط، فهو متعبد لغير الله: حبا وخوفا ورجاء، ورضا، وسخطا، وتعظيما، وذلا إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه، فهو آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه، فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائسه، والغفلة مركبه، فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مغمور، ينادى إلى الله وإلى الدار الآخرة من مكان بعيد، ولا يستجيب للناصح ويتبع كل شيطان مريد، الدنيا تسخطه وترضيه، والهوى يُصمّه عما سوى الباطل ويُعميه.... فمخالطة صاحب هذا القلب سقم ومعاشرته سم ومجالسته هلاك ^(١) .

^(١) إغاثة اللهفان (١ / ٤٤)

ولقد جاء وصف القلب بالموت في عدة آيات من كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾^(٤)

قال ابن القيم -رحمه الله- بعد أن ذكر هذه الآيات استدلالاً على موت قلوب الكفار: "فوصف الكافر بأنه ميت وأنه بمنزلة أصحاب القبور وذلك أن القلب الحي هو الذي يعرف الحق ويقبله ويحبه ويؤثره على غيره فإذا مات القلب لم يبق فيه إحساس ولا تمييز بين الحق والباطل ولا إرادة للحق وكرهية للباطل بمنزلة الجسد الميت الذي لا يحس بلذة الطعام والشراب ولم فقدهما"^(٥).

أيها الأحبة لقد ذكر ربنا سبحانه وتعالى في كتابه العزيز علامات للقلب الميت محذراً منها، فمنها:

^(١) [الأَنْعَام: ١٢٢]

^(٢) [النمل: ٨٠]

^(٣) [يس: ٧٠]

^(٤) [فاطر: ٢٢]

^(٥) شفاء العليل (١/ ١٠٤)

١- القسوة^(١):

قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِّثْقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً^ص تُخْرِفُونَ^ج الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ^ل وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ^ج﴾^(٢).

قال ابن كثير - رحمه الله -: "أي فسدت قلوبهم فقست، وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه، وتركوا الأعمال التي أمروا بها وارتكبوا ما نهوا عنه"^(٣).

قال ابن القيم - رحمه الله -: "فمن آثار القسوة تحريف الكلم عن مواضعه، وذلك من سوء الفهم، وسوء القصد، وكلاهما ناشئ عن قسوة القلب، ومنها نسيان ما ذُكر به وهو ترك ما أمر به علما وعملا"^(٤).

فالقلب القاسي: هو اليابس الصلب الذي لا يقبل صورة الحق ولا تنطبع فيه كما قال ابن القيم - رحمه الله -^(٥).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً^ج﴾^(٦).

^(١) القسوة:

لغة: الشدة والصلابة، قال ابن فارس - رحمه الله -: "القاف والسين والحرف المعتل يدل على شدة وصلابة، من ذلك الحجر القاسي والقسوة غلظ القلب وهي من قسوة الحجر".

معجم مقاييس اللغة (٨٧ / ٥)

اصطلاحاً: يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -: "وأما القسوة فيبس في القلب يمنعه من الانفعال، وغلظة تمنعه من التأثير بالنوازل، فلا يتأثر لغلظته وقساوته، لا لصبره واحتماله". الروح (ص ٢٤١)

[المائدة: ١٣]^(٧)

^(٨) تفسير ابن كثير (٣١١ / ٤)

^(٩) شفاء العليل (٢٤٧ / ١)

^(١٠) شفاء العليل (١٠٥ / ١)

^(١١) [البقرة: ٧٤]

قال البغوي - رحمه الله -: "وإنما لم يشبهها بالحديد مع أنه أصلب من الحجارة لأن الحديد قابل للين فإنه يلين بالنار وقد لان لداود عليه السلام والحجارة لا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾" (١).

قال ابن القيم - رحمه الله -: "ومتى أقحطت العين من البكاء من خشية الله تعالى فاعلم أن قحطها من قسوة القلب" (٢).

٢ - الختم (٣):

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ٢ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ٣

(١) تفسير البغوي (٨٥ / ١)

(٢) بدائع الفوائد (٧٤٣ / ٣)

(٣) الختم:

لغة: الطبع، قال الطبري - رحمه الله -: "وأصل الختم: الطبع والخاتم هو الطابع يقال منه: ختمت الكتاب إذا طبعته". تفسير الطبري (١١٢ / ١)

وقال ابن فارس - رحمه الله -: "الخاء والتاء والميم أصل واحد وهو بلوغ آخر الشيء، يقال: ختمت العمل وختم القارئ السورة، فأما الختم بسكون التاء وهو الطبع على الشيء فذلك من الباب أيضا لأن الطبع على الشيء لا يكون إلا بعد بلوغ آخره في الأحراز".

معجم مقاييس اللغة (٢٤٥ / ٢)

اصطلاحاً: قال ابن منظور - رحمه الله -: "و الختم على القلب: أن لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء". لسان العرب (١٦٣ / ١٢)

فإن قال لنا قائل: وكيف يختم على القلوب وإنما الختم طبع على الأوعية والظروف والغلف؟ قيل: فإن قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم وظروف لما جعل فيها من المعارف بالأمور". تفسير

الطبري (١١٢ / ١)

(٤) [البقرة: ٦-٧]

وقال الشيخ ابن سعدي - رحمه الله -: " طبع عليها بطابع لا يدخلها الإيمان ولا ينفذ فيها فلا يعون ما ينفعهم ولا يسمعون ما يفيدهم " ^(١).

٣- الطبع ^(٢):

قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ^(٣).

يقول الطبري - رحمه الله -: " هم القوم الذين طبع الله على قلوبهم فختم عليها بطابعه فلا يؤمنون ولا يهتدون وأصم أسماعهم فلا يسمعون داعي الله إلى الهدى وأعمى أبصارهم فلا يبصرون بها حجج الله إِبْصَارَ معتبر ومتعظ، وهؤلاء الذين جعل الله فيهم هذه الأفعال هم الساهون عما أعد الله لأمثالهم من أهل الكفر وعما يراد بهم " ^(٤).

^(١) تفسير السعدي (ص ٤٢)

^(٢) فإن قيل معنى الختم والطبع في اللغة واحد وهو التغطية على الشيء فما الفرق بينهما إذا؟
يجيبنا ابن القيم - رحمه الله - فيقول: " الختم والطبع يشتركان فيما ذكر - أي في معنى التغطية - ويفترقان في معنى آخر وهو أن الطبع ختم يصير سجية وطبيعة فهو تأثير لازم لا يفارق القلب الميت ". شفاء العليل (١/٩٢)

^(٣) [النحل: ١٠٨]

^(٤) تفسير الطبري (١٤/١٨٣)

٤ - القفل^(١):

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٢).

قال الطبري - رحمه الله -: " أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر "^(٣).

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: "(أم) بمعنى: بل وذكر الأقفال استعارة والمراد أن القلب يكون كالبيت المقفل لا يصل إليه الهدى "^(٤).

قال ابن القيم - رحمه الله -: وتأمل تنكير القلب وتعريف الأقفال، فإن تنكير القلوب يتضمن إرادة قلوب هؤلاء وقلوب من هم بهذه الصفة، ولو قال ﴿أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ لم تدخل قلوب غيرهم في الجملة. وفي قوله ﴿أَقْفَالُهَا﴾ بالتعريف نوع تأكيد، فإنه لو قال ﴿أَقْفَالٌ﴾ لذهب الوهم إلى ما يعرف بهذا الاسم، فلما أضافها إلى القلوب علم أن المراد بها ما هو للقلب بمنزلة القفل للباب، فكأنه أراد أقفالها المختصة بها التي لا تكون لغيرها، والله أعلم "^(٥).

^(١) القفل: لغة: الغلق بشدة وصلابة. معجم مقاييس اللغة (٥/ ١١٢)، لسان العرب (١١/ ٥٦٢)
اصطلاحاً: القلوب المقفلة هي التي " قد أغلق على ما فيها من الإعراض والغفلة والاعتراض، وأقفلت، فلا يدخلها خير أبداً ". تفسير السعدي (ص ٧٨٨)

[محمد: ٢٤]^(٢)

^(٣) تفسير الطبري (٢٦/ ٥٧)

^(٤) زاد المسير (٧/ ٤٠٨)

^(٥) شفاء العليل (١/ ٩٥ - ٩٦)

٥ - الزيف^(١):

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾^(٢)، وقال تعالى ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾^(٣).

قال ابن كثير - رحمه الله -: " فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاع الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان "^(٤).

فهذه أيها الأحبة بعض علامات موت القلب، والعياذ بالله، وإلا فإن هناك أوصاف أخرى لهذا القلب ذكرها الله جل جلاله في كتابه العزيز كالرآن^(٥)، والأكنة^(٦) وغيرهما.

^(١) الزيف: لغة: الميل. لسان العرب (٤٣٢ / ٨)

قال ابن القيم - رحمه الله -: "وأصل الزيف الميل ومنه زاغت الشمس إذا مالت". شفاء العليل (١ / ١٠٠)
اصطلاحاً: قال ابن القيم - رحمه الله -: "فإزاغة القلب إمالته وزيغته ميله عن الهدى إلى الضلال". شفاء العليل (١ / ١٠٠)

^(٢) [آل عمران: ٧]

^(٣) [الصف: ٥]

^(٤) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٦٠)

^(٥) قال تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]
قال الخطابي - رحمه الله -: " الرآن والرین لغتان: هو ما يغشى القلب ويتخلله من ظلمة الذنوب ".
غريب الحديث للخطابي (٣ / ٧١)

وقال ابن القيم - رحمه الله -: "والرین والرآن هو الحجاب الكثيف المانع للقلب من رؤية الحق والانقياد له". مدارج السالكين (١ / ١٣٠)

^(٦) قال الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥]

والأكنة: "الأغطية". لسان العرب (١٣ / ٣٦١)

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله -: "أنه جعل على قلوب الكفار أكنة، (جمع كنان) وهو ما يستر الشيء ويغطيه ويكنه، لئلا يفقهوا القرآن، أو كراهة أن يفقهوه لحيلولة تلك الأكنة بين قلوبهم وبين =

وينبغي أن يُعلم أن هذه الصفات التي أشرنا إليها هي حقيقة بالنسبة للقلب، ولذا يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله- بعد أن ذكر جملة من صفات القلوب الميتة: "ولا تصغ إلى قول من يقول أن هذه مجازات واستعارات، فإنه قال بحسب مبلغه من العلم والفهم عن الله ورسوله وكأن هذا القائل حقيقة الفعل عنده أن يكون من حديد، والختم أن يكون بشمع أو طين، والمرض أن يكون حمى ينافض^(١)، أو قُولنج^(٢)، أو غيرهما من أمراض البدن، والموت هو مفارقة الروح للبدن ليس إلا، والعمى ذهاب ضوء العين الذي تبصر به، وهذه الفرقة من أغلظ الناس حجاباً، فإن هذه الأمور إذا أضيفت إلى محلها كانت بحسب تلك المحال، فنسبة قفل القلب إلى القلب كنسبة قفل الباب إليه، وكذلك الختم والطابع الذي عليه هو بالنسبة إليه كالختم والطابع الذي على الباب والصندوق ونحوهما، وكذلك نسبة الصمم والعمى إلى الأذن والعين وكذلك موته وحياته نظير موت البدن وحياته، بل هذه الأمور ألزم للقلب منها للبدن"^(٣).

=فقه القرآن، أي فهم معانيه فهماً ينتفع به صاحبه وأنه جعل في آذانهم وقرأ أي صمماً وثقلاً لئلا يسمعه سماع قبول وانتفاع". أضواء البيان (٣ / ١٦٠)

^(١) أي: "ملتبسة بارتعاد، والنافض من الحمى هو ذات الرعدة". عمدة القاري للعيني (٢٨٠ / ١٥)

^(٢) قال النووي -رحمه الله-: "بضم القاف وإسكان الواو وفتح اللام، ويقال فيه: قولون وليس بعربي وهو مرض يحدث بالأمعاء". تهذيب الأسماء (٣ / ٢٧٩)

وقال أيضاً -رحمه الله-: "القولنج: وهو أن تنعقد أخلاط الطعام في بعض الأمعاء فلا تنزل ويصعد بسببه البخار إلى الدماغ فيؤدي إلى الهلاك". روضة الطالبين (٦ / ١٢٤)

^(٣) شفاء العليل (٩٢ / ١)

علاج القلب الميت

ومما يحسن التنبيه عليه أن موت القلب بهذه الصفات لا يمنع ذلك بأن يمن الله عليه بالحياة بعد موته، وباللين بعد قسوته وبالهداية بعد ضلاله، فله أدوية ناجعة نافعة تبعثه بعد موته وتفتح قفله بعد إغلاقه بإذن خالقه.

يقول ابن القيم - رحمه الله - مقررًا هذه المسألة: "ومما ينبغي أن يعلم أنه لا يمتنع مع الطبع والختم، والقفل حصول الإيمان، بأن يفك الذي ختم على القلب وطبع عليه، وضرب عليه القفل ذلك الختم والطابع والقفل ويهديه بعد ضلاله، ويعلمه بعد جهله، ويرشده بعد غيه، ويفتح قفل قلبه بمفاتيح توفيقه التي هي بيده حتى لو كتب على جبينه الشقاوة والكفر، لم يمتنع أن يمحوها ويكتب عليه السعادة والإيمان"^(١).

فالله سبحانه وتعالى كما هو قادر على أن يحيي الأرض بعد موتها، قادر على إحياء القلوب الميتة.

قال جل جلاله في محكم تنزيله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ

^(١) شفاء العليل (١ / ٩٠)

فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ^ص وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تُمَّيُّ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا^ج قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾^(١).

يقول الإمام الطبري - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية: " يقول تعالى ذكره اعلّموا أيها الناس أن الله يحيي الأرض الميتة التي لا تنبت شيئاً بعد موتها، يعني بعد دثورها ودروسها، يقول: وكما نحیی هذه الأرض الميتة بعد دروسها كذلك نهدي الإنسان الضال عن الحق إلى الحق فنوفقه ونسده للإيمان حتى يصير مؤمناً من بعد كفره، ومهتدياً من بعد ضلاله"^(٢).

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: "فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلتها ويفرج الكروب بعد شدتها فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث اهتان الوابل كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة، لا يصل إليها الواصل فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال وهو الحكم العدل في جميع الفعال اللطيف الخبير الكبير المتعال"^(٣).

[الحديد: ١٦-١٧]

^(١) تفسير الطبري (٢٧/٢٢٩)

^(٢) تفسير ابن كثير (٤/٣١٢)

أيها الأحبة قد يقال: نعم إن الله قد يتفضل بجوده وكرمه على القلب الميت بالحياة واللين وغير ذلك من الصفات التي تبعثه من قبره بعد أن دفن في جسد صاحبه، لكن لابد من أسباب تساعد على ذلك؟ فما هي؟

فيجاب على السائل: نعم صدقت في ذلك، هناك أدوية نافعة بعون الله، لكن بشرط أن يجتهد صاحب هذا القلب في تحصيلها أولاً، ثم تناولها ثانياً، فينفخ في قلبه الروح بعد موته، ويرزق بالهداية بعد ضلاله، بإذن خالقه، ودونك أهمها أيها الحريص:

١- التوبة النصوح^(١):

وهي أهم دواء، لأن تناولها دائم في حياة العبد، لا تفارقه في حله ولا في ترحاله، بل لا تفارقه في لحظة من الأوقات، فالعبد لابد له من ملازمة التوبة وأن

^(١) التوبة:

لغة: قال ابن فارس - رحمه الله -: "التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع، يقال تاب من ذنبه أي رجع عنه". معجم مقاييس اللغة (٣٥٧/١)
اصطلاحاً: قال ابن القيم - رحمه الله -: "الرجوع عما يكرهه الله ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً". مدارج السالكين (٣٠٦/١)
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "التوبة هي جماع الرجوع من السيئات إلى الحسنات". الاستقامة (٤٦٣/١)

وقال - رحمه الله -: "التوبة نوعان: واجبة ومستحبة.
فالواجبة: هي التوبة من ترك مأمور أو فعل محظور وهذه واجبة على جميع المكلفين كما أمرهم الله بذلك في كتابه وعلى ألسنة رسله.
والمستحبة: هي التوبة من ترك المستحبات وفعل المكروهات فمن اقتصر على التوبة الأولى كان من الأبرار المقتصدين ومن تاب التوبتين كان من السابقين المقربين ومن لم يأت بالأولى كان من الظالمين إما الكافرين وإما الفاسقين". رسالة في التوبة (ص ٢٢٧)

تكون له سجيّة، كلما أحدث ذنباً فزع إلى الله سبحانه واستغاث به ولجأ إليه، ومن أعظم ما يتاب منه الشرك ثم البدعة ثم المعاصي بحسب تفاوتها، ولقد ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - الأجناس التي لا يستحق العبد اسم التائب حتى يخلص منها ثم قام بشرحها شرحاً مفصلاً، فقال - رحمه الله: "وهي اثنا عشر جنساً مذكورة في كتاب الله عز وجل هي أجناس المحرمات: الكفر والشرك والنفاق والفسوق والعصيان والإثم والعدوان والفحشاء والمنكر والبغي والقول على الله بلا علم واتباع غير سبيل المؤمنين فهذه الاثنا عشر جنساً عليها مدار كل ما حرم الله.. .. وقد يكون في الرجل أكثرها وأقلها أو واحدة منها، وقد يعلم ذلك وقد لا يعلم فالتوبة النصوح: هي بالتخلص منها والتحصن والتحرز من مواقعتها"^(١).

فالتوبة النصوح تكون: بـ"تخليصها من كل غش ونقص وفساد وإيقاعها على أكمل الوجوه"^(٢).

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣).

يقول ابن القيم - رحمه الله -: "وهذه الآية في سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم، وصبرهم وهجرتهم وجهادهم"^(٤).

^(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٥)

^(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٠٩)

^(٣) [النور: ٣١]

^(٤) مدارج السالكين (١/ ١٧٨)

وقال تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١).

قال ابن القيم - رحمه الله -: "قسم العباد إلى تائب، وظالم، وما ثم قسم ثالث ألبته، وأوقع اسم الظالم على من لم يتب، ولا أظلم منه لجهله بربه وبحقه، وبعبث نفسه، وآفات أعماله"^(٢).

ولقد كان أشرف الخلق وأفضلهم صلوات الله عليه وسلامه يتوب في اليوم مائة مرة مع أنه غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فعن الأغر المزني رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة"^(٣).

٢- دعاء الله والاستعانة به سبحانه:

إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن ولهذا كان النبي ﷺ يدعو ربه سبحانه بثبات قلبه على الهدى، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"، فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: "نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء"^(٤).

^(١) [الحجرات: ١١]

^(٢) مدارج السالكين (١/ ١٧٨)

^(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٠٢)

^(٤) رواه الترمذي (٢١٤٠) وصححه العلامة الألباني - رحمه الله -

قال سهل بن عبد الله التستري-رحمه الله:- "ليس بين العبد وبين ربه طريق أقرب إليه من الافتقار"^(١).

فالعبد أيها الأحبة لا يحصل له الاهتداء بمجرد معرفته للحق حتى يستعين بخالقه الوهاب، فإن كان منه ذلك فتحت له الأبواب، وذلت له الصعاب بإذن رب الأرباب.

٣- طلب العلم النافع:

إن بالعلم النافع يعرف العبد ربه سبحانه، وعلى قدر معرفته بخالقه جل جلاله وعظم سلطانه يقوى تعظيمه في قلبه ويزداد إيمانه ويحيى قلبه، يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله: "فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به: أشدهم له تعظيماً وإجلالاً"^(٢).

ويقول الشيخ ابن سعدي-رحمه الله:- "وبحسب معرفته- أي العبد-بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك: تدبر صفاته وأسمائه من القرآن"^(٣).

٤- إدمان النظر في كتاب الله تعالى، وتدبر آياته:

إن هذا الدواء من أهم أسباب حياة القلب أيضاً، قال جل وعلا: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾^(٤).

^(١) صفة الصفوة لابن الجوزي (٤١٦/١)

^(٢) مدارج السالكين (٤٩٥/٢)

^(٣) تفسير السعدي (٢٤/١)

^(٤) [يونس: ٥٧]

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - معلقا على هاتين الآيتين: "ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه، وليس تحت أديم السماء كتاب متضمن للبراهين والآيات على المطالب العالية: من التوحيد وإثبات الصفات وإثبات المعاد والنبوات ورد النحل الباطلة والآراء الفاسدة مثل القرآن، فإنه كفيل بذلك كله متضمن له على أتم الوجوه، وأحسنها وأقربها إلى العقول، وأفصحها بيانا فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه، والشكوك، ولكن ذلك موقوف على فهمه ومعرفة المراد منه فمن رزقه الله تعالى ذلك أبصر الحق، والباطل عيانا بقلبه كما يرى الليل والنهار"^(٢).

فهذه أيها الأفاضل بعض الأدوية الإيمانية التي تنور القلب الميت بعد أن كان في ظلام دامس، وتلينه بعد أن عانى من القسوة المستمرة، وتطرد الشيطان وتهدم بيته بعد أن اتخذ مسكنا، وهذا كله بإذن الباري سبحانه وتعالى.

نسأل الله تعالى أن يجنبنا وإياكم موت القلوب وقسوتها، وأن يحييها ويلينها إذا أصابها ذلك، فهو سبحانه مالکها وعلى كل شيء قدير.

^(١) [الإسراء: ٨٢]

^(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٤٤)

(٣) القلب المريض:

هذا القلب تُحجب عنه الرؤية أحياناً، فلا يسمع، ولا يعي، ولا يفهم، ولا يعقل، مع أن فيه نور من إيمان.

يقول ابن القيم - رحمه الله - واصفاً هذا القلب: "استنار بنور الإيمان، وأوقد فيه مصباحه لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية، فللشيطان هناك إقبال وإدبار، ومجالات ومطامع، فالحرب دول وسجال، وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة، فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر، ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر، ومنهم من هو تارة وتارة"^(١).

فهذا القلب إن غلب عليه المرض التحق بالقلب الميت القاسي، وإن غلبت عليه الصحة التحق بالقلب الصحيح السليم لأن فيه حياة، لكن به علة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مفرقاً بين القليين: "والمرض دون الموت، فالقلب يموت بالجهل المطلق، ويمرض بنوع من الجهل، فله موت، ومرض، وحياة، وشفاء، وحياته وموته ومرضه وشفائه أعظم من حياة البدن وموته ومرضه وشفائه، فلهذا مرض القلب إذا ورد عليه شبهة أو شهوة قوت مرضه، وإن حصلت له حكمة وموعظة كانت من أسباب صلاحه وشفائه"^(٢).

(١) الوابل الصيب (ص ٤٠)

(٢) مجموع الفتاوى (٩٤ / ١٠)

ومما ينبغي العلم به أيها الأحبة أن أمراض القلوب أشد خطراً وأعظم ضرراً من أمراض الأبدان، يقول ابن القيم - رحمه الله - "لأن غاية مرض البدن أن يفضي بصاحبه إلى الموت، وأما مرض القلب فيفضي بصاحبه إلى الشقاء الأبدي، ولا شفاء لهذا المرض إلا بالعلم، ولهذا سمي الله تعالى كتابه شفاء لأعراض الصدور"^(١).

ويقول - رحمه الله - أيضاً: مرض القلب نوعان:

نوع لا يتألم به صاحبه في الحال: وهو النوع المتقدم كمرض الجهل ومرض الشبهات والشكوك، ومرض الشهوات، وهذا النوع هو أعظم النوعين ألماً، ولكن لفساد القلب لا يحس بالألم، ولأن سكرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم، وإلا فألمه حاضر فيه، حاصل له، وهو متوار عنه باشتغاله بضده، وهذا أخطر المرضين وأصعبهما وعلاجه إلى الرسل وأتباعهم فهم أطباء هذا المرض.

والنوع الثاني: مرض مؤلم له في الحال كالألم والغم والغيط، وهذا المرض قد يزول بأدوية طبيعية كإزالة أسبابه، أو بالمداواة بما يضاد تلك الأسباب، وما يدفع موجبها مع قيامها، وهذا كما أن القلب قد يتألم بما يتألم به البدن، ويشقى بما يشقى به البدن، فكذلك البدن يتألم كثيراً بما يتألم به القلب، ويشقى ما يشقى به"^(٢).

^(١) مفتاح دار السعادة (١ / ١١١)

^(٢) إغاثة اللفهان (١ / ٥٩)

ومرادنا أيها الأحبة هنا النوع الأول لأنه أشد فتكا وهلاكاً للقلب خاصة مرض الشبهة، لأن مرض الشهوة يرجى له الشفاء، أما مرض الشبهة فلا شفاء له إن لم يتداركه الله برحمته، ولذا أوصى أطباء القلوب بالإعراض عن أهل البدع وعدم مجالستهم، فإنهم يمرضون القلوب، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب" ^(١).

يقول ابن القيم - رحمه الله - في بيان خطورة مرض الشبهات، ومنشأ هذا المرض: "فتنة الشبهات وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات وقد يجتمعان للعبد وقد ينفرد بإحدهما.

ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد وحصول الهوى، فهناك الفتنة العظمى والمصيبة الكبرى فقل ما شئت في ضلال سيء القصد الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته وقلة علمه بما بعث الله به رسوله، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ ^ص ^(٢) وقد أخبر الله سبحانه أن اتباع الهوى يضل عن سبيل الله فقال: ﴿يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ

^(١) رواه الآجري في الشريعة (١٣٣) من طريق أبي حصين - عثمان بن عاصم الأسدي - عن أبي صالح - ذكوان السمان - عن ابن عباس (رضي الله عنهما).

^(٢) [النجم: ٢٣]

بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَظِلُّونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٣١﴾

وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق وهي فتنة المنافقين وفتنة أهل البدع على
حسب مراتب بدعهم فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم
فيها الحق بالباطل والهدى بالضلال^(١).

ولقد جاء نصوص الكتاب والسنة بوصف القلب بالمرض، لكن تارة عني
بالمرض النفاق، وتارة ضعف الإيمان بسبب شبهة أو شهوة، أما المنافق فقلبه ميت
وقد سبق الكلام عليه، ومرادنا هنا بالقلب المريض قلب المسلم العاصي، فمن
أوصافة:

قال الله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: ﴿فِتْنَةٌ لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ﴾: لأن ذلك أورث شبهة عندهم والقاسية قلوبهم ليبسها فأولئك قلوبهم

(١) [ص: ٢٦]

(٢) إغاثة اللهفان (١٦٥ / ٢)

(٣) [الحج: ٥٣]

ضعيفة بالمرض، فصار ما ألقى الشيطان فتنة لهم، وهؤلاء كانت قلوبهم قاسية عن الإيمان فصار فتنة لهم^(١).

وقال الشيخ ابن سعدي -رحمه الله-: "أي ضعف وعدم إيمان تام، وتصديق جازم، فيؤثر في قلوبهم، أدنى شبهة تطراً عليها، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان، داخلهم الريب والشك، فصار فتنة لهم"^(٢).

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾^(٣).

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "وهو مرض الشهوة فإن القلب الصحيح لو تعرضت له المرأة لم يلتفت إليها بخلاف القلب المريض بالشهوة فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك بحسب قوة المرض وضعفه"^(٤).

قال الشيخ ابن سعدي -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: "مرض الشهوة الحرام، فإنه مستعد، ينتظر أدنى محرك يحركه، لأن قلبه غير صحيح، فإن القلب الصحيح، ليس فيه شهوة لما حرم الله، فإن ذلك لا تكاد تميله ولا تحركه الأسباب، لصحة قلبه، وسلامته من المرض، بخلاف المريض القلب الذي لا يتحمل ما يتحمل الصحيح، ولا يصبر على ما يصبر عليه، فأدنى سبب يوجد، ويدعوه إلى الحرام، يجيب دعوته، ولا يتعاصى عليه، فهذا دليل على أن الوسائل، لها أحكام المقاصد.

(١) أمراض القلوب وشفائها (ص ٥)

(٢) تفسير السعدي (ص ٥٤٢)

(٣) [الأحزاب: ٣٢]

(٤) أمراض القلوب وشفائها (ص ٥)

فإن الخضوع بالقول، واللين فيه، في الأصل مباح، ولكن لما كان وسيلة إلى المحرم منع منه، ولهذا ينبغي للمرأة في مخاطبة الرجال، أن لا تلين لهم القول، ولما نهاهن عن الخضوع في القول، فربما توهم أنهن مأمورات بإغلاظ القول، دفع هذا بقوله: ﴿وقلن قولاً معروفاً﴾ أي: غير غليظ، ولا جاف كما أنه ليس بلين خاضع^(١).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: "تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً، فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تعود القلوب على قلبين: أسود مرباداً كالكوز مجخياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه، وقلب أبيض فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض"^(٢).

قال النووي-رحمه الله-: "قال القاضي - رحمه الله -: "شبه القلب الذي لا يعي خيراً بالكوز المنحرف الذي لا يثبت الماء فيه"^(٣).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: "فشبه عرض الفتن على القلوب شيئاً فشيئاً كعرض عيدان الحصير -وهي طاقاتها- شيئاً فشيئاً وقسم القلوب عند عرضها عليها إلى قسمين: قلب إذا عرضت عليه فتنة أشربها كما يشرب الإسفنج الماء

(١) تفسير السعدي (ص ٦٦٣-٦٦٤)

(٢) رواه مسلم (١٤٤)

(٣) شرح مسلم (١٧٣/٢)

فتنتك فيه نكتة سوداء فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه حتى يسود ويتكس وهو معنى قوله (كالكوز مجخيا): أي مكبوبا منكوسا، فإذا اسود وانتكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطران متراميان به إلى الهلاك: أحدهما: اشتباه المعروف عليه بالمنكر فلا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة والحق باطلا والباطل حقا.

الثاني: تحكيمه هواه على ما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وانقياده للهوى واتباعه له^(١).

بعد أن عرفنا أيها الأحبة أن أخطر المرضى على القلب وأصعبهما: مرض الشبهات ثم مرض الشهوات، ينبغي أن نعلم أن هذين المرضين يمكن علاجهما بإذن الله ثم باتخاذ الأسباب.

^(١) إغائة اللفهان (١ / ٤٧)

علاج القلب المريض:

بعد أن عرفنا أيها الأحبة سبب مرض القلب وخروجه عن الصحة والاعتدال، وأن القلب يتوارد عليه كما يقول ابن القيم -رحمه الله-: "جيشان من الباطل: جيش شهوات الغي، وجيش شبهات الباطل فأيا قلب صغى إليها وركن إليها تشربها وامتلاً بها، فينضح لسانه وجوارحه بموجبها"^(١).

وإن من أعظم أدوائه الشرك والذنوب والغفلة والاستهانة بمحاب الله ومراضيه وترك التفويض إليه وقلة الاعتماد عليه والركون إلى ما سواه والسخط بمقدوره والشك في وعده ووعيده، يقول ابن القيم -رحمه الله-: "وإذا تأملت أمراض القلب وجدت هذه الأمور وأمثالها هي أسبابها لا سبب لها سواها"^(٢).
فينبغي العلم أن هذا المرض لا يزول بالأدوية الطبيعية بل يعالج بالأوصاف الإيمانية النبوية.

وإن من أهم طرق علاج القلب المريض: القضاء على أسباب علته بالتوبة النصوح من البدع والمعاصي وأنواع المخالفات، وفي المقابل مده بأسباب قوته من الإيمان وأنواع الطاعات، ثم حمايته بكثرة الاستغفار.

^(١) مفتاح دار السعادة (١ / ١٤٠)

^(٢) زاد المعاد (٤ / ٢٠٢)

قال الله تعالى ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

قال الشيخ ابن سعدي - رحمه الله -: "فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة، وهي الرجوع مما يكرهه الله، ظاهرا وباطنا، إلى ما يحبه ظاهرا وباطنا. ودل هذا، أن كل مؤمن، محتاج إلى التوبة، لأن الله خاطب المؤمنين جميعا. وفيه الحث على الإخلاص بالتوبة"^(٢).

ولقد كان أشرف الخلق وأفضلهم صلوات الله عليه وسلامه يتوب في اليوم مائة مرة مع أنه عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فعن الأغر المزني رحمته الله قال: قال رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنني أتوب في اليوم إليه مائة مرة"^(٣).

فاتباع سنة خير المرسلين وترك بدع المضلين والابتعاد عن الشهوات من أسباب سلامة القلب من المرضى، بإذن رب العالمين.

يقول ابن القيم - رحمه الله -: فأما طب القلوب فمسلم إلى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولا سبيل إلى حصوله إلا من جهتهم، وعلى أيديهم، فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وفاطرها وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ومحابه متجنبه لمناهيه ومساخطه، ولا صحة

(١) [النور: ٣١]

(٢) تفسير السعدي (ص ٥٦٧).

(٣) تقدم تحريجه.

لها ولا حياة البتة إلا بذلك، ولا سبيل إلى تلقيه إلا من جهة الرسل، وما يظن من حصول صحة القلب بدون اتباعهم فغلط ممن يظن ذلك، وإنما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية وصحتها وقوتها وحياة قلبه وصحته وقوته عن ذلك بمعزل ومن لم يميز بين هذا وهذا فليبك على حياة قلبه فإنه من الأموات وعلى نوره فإنه منغمس في بحار الظلمات^(١).

ومن هنا أوصى أطباء القلوب بالإعراض عن الشبهات وأهلها، قال ابن القيم - رحمه الله: "وقال لي شيخ الإسلام - رحمه الله - وقد جعلت أورد عليه إيرادا بعد إيراد: "لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاها ولا تستقر فيها فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقرا للشبهات أو كما قال"، قال ابن القيم بعد ذلك: "فما اعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك"^(٢).

فحاجة الأمة أيها الأحبة إلى أطباء ربانيين صادقين متبعين لمنهج سلف الأمة هام جدا، بل وأعظم من حاجتها إلى أطباء الأبدان، فهؤلاء يعالجون الظاهر وأولئك يعالجون الباطن والظاهر، فهم بمنزلة النجوم في السماء بهم يهتدي الحيران في الظلمات، يقول ابن القيم - رحمه الله -: "ولهذا السبب نسبة العلماء إلى

^(١) زاد المعاد (٤ / ٧-٨)

^(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١ / ١٤٠)

القلوب كنسبة الأطباء إلى الأبدان، وما يقال للعلماء أطباء القلوب فهو لقدر ما جامع بينهما وإلا فالأمر أعظم، فإن كثيرا من الأمم يستغنون عن الأطباء ولا يوجد الأطباء إلا في اليسير من البلاد، وقد يعيش الرجل عمره أو برهة منه لا يحتاج إلى طبيب، وأما العلماء بالله وأمره فهم حياة الموجود وروحه ولا يستغنى عنهم طرفة عين، فحاجة القلب إلى العلم ليست كالحاجة إلى التنفس في الهواء بل أعظم وبالجملته فالعلم للقلب مثل الماء للسماك إذا فقدته مات^(١). وكذلك من أمراض القلوب المقيتة التي تفتك بصاحبها "الرياء والكبر" والعياذ بالله، وقد قال ﷺ: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"^(٢)، فإن لم يتداركها العبد تراميا به إلى التلف ولا بد، وقد أرشد أطباء القلوب إلى دواء هذين الداءين، قال ابن القيم -رحمه الله-: "وكثيرا ما كنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يقول إياك نعبد تدفع الرياء وإياك نستعين تدفع الكبرياء.

ثم قال -رحمه الله-: "فإذا عوفي من مرض الرياء بـ"إياك نعبد" ومن مرض الكبرياء والعجب بـ"إياك نستعين"، ومن مرض الضلال والجهل بـ(اهدنا الصراط المستقيم) عوفي من أمراضه وأسقامه ورفل في أثواب العافية وتمت عليه النعمة، وكان من المنعم عليهم غير المغضوب عليهم، وهم أهل فساد القصد الذين عرفوا

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١١١)

(٢) رواه مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

الحق وعدلوا عنه والضالين وهم أهل فساد العلم، الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه^(١).

ومن آثار داء الكبر - عفانا الله وإياكم منه - احتقار الآخرين، إما لنقص ما لهم أو لأن أصلهم كذا أو كذا! أو قبيلته كذا! أو لونه كذا!، وقد قال تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢) وقال ﷺ: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم"^(٣).

ومما يعرض على القلب أيضا من أمراض وينبغي تجنبه والحذر منه الحقد وهو إضمار الشر والبغض للآخرين، ومن مخلفات هذا الخلق الذميم - نجانا الله وإياكم منه - الحسد وهو: "بغض نعمة الله على المحسود وتمني زوالها"^(٤).

ويسمى العلماء هذا الحسد بالحقيقي، حتى يفرقوا بينه وبين الحسد الغبطة الذي هو تمني مثل النعمة على الغير من غير زوالها، وقد فرق بينهما نبينا ﷺ فقال: "لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل ورجل

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٤)

(٢) [الحجرات: ١٣]

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة ؓ

(٤) بدائع الفوائد (٢/ ٤٥٨)

آتاه الله ما لا فهو يهلكه في الحق فقال رجل ليتني أُوتيت مثل ما أُوتي فلان فعملت مثل ما يعمل" ^(١).

قال النووي - رحمه الله -: قال العلماء الحسد قسمان: حقيقي ومجازي: فالحقيقي تمنى زوال النعمة عن صاحبها وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة، وأما المجازي فهو الغبطة: وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة، والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين ^(٢).

ففي الحسد المذموم تجد الحاسد إذا رأى على غيره نعمة من نعم الله مثل علم، أو منصب، أو تجارة، يحسده عليها ويتمنى زوالها، والعياذ بالله، وهذا الخلق الذميم من أخلاق اليهود، قال تعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ ^(٣).

^(١) رواه البخاري (٤٧٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

^(٢) الشرح على صحيح مسلم (٩٧/٦)

^(٣) [البقرة: ١٠٩]

قال الشيخ ابن سعدي - رحمه الله -: "وهذا من قبائح اليهود، وحسدهم للنبي ﷺ والمؤمنين، أن أخلاقهم الرذيلة أو طبعهم الخبيث، حملهم على ترك الإيمان بالله ورسوله والتعوض عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت" ^(١).

وقال نبينا ﷺ: "لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا" ^(٢).

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله -: "والحسد مرض من أمراض النفس وهو مرض غالب، فلا يخلص منه إلا القليل من الناس، ولهذا يقال: ما خلا جسد من حسد لكن اللئيم يديه والكريم يخفيه" ^(٣).

ومن أدوية هذا الداء العضال ما قاله شيخ الإسلام - رحمه الله -: "من وجد في نفسه حسداً لغيره فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر فيكره ذلك من نفسه" ^(٤).

أعاذنا الله وإياكم أيها الأحبة الأفاضل من جميع أمراض القلوب وآفاتهما.

^(١) تفسير السعدي (ص ١٨٢)

^(٢) رواه البخاري (٥٧١٨) ومسلم (٢٥٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه

^(٣) أمراض القلوب وشفائها (ص ٢١)

^(٤) أمراض القلوب وشفائها (ص ٢١)

من صلح قلبه صلح جسده قطعاً:

قليل منا أيها الأحبة من يهتم بصلاح باطنه فينظر في الأدوية التي أصابت قلبه ويبحث بعد ذلك عن الدواء النافع الذي يزيلها بإذن الله، وللأسف! قد نقضي جل أوقاتنا في تزيين أعمالنا الظاهرة متناسين أن في صلاح القلوب صلاح للأبدان وعنوان على النجاة والفوز برضا الرحمن، وأنه كلما كان القلب سليماً صحيحاً كان البدن كذلك والعكس بالعكس.

ومصدق ذلك قوله ﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهى القلب" ^(١).

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "وما كان في القلب فلا بد أن يظهر موجهه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجهه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه، ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه وهى تصديق لما في القلب ودليل عليه، وشاهد له، وهى شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له، لكن ما في القلب هو الأصل لما على الجوارح" ^(٢).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "القلب ملك والأعضاء جنوده، فإن طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده" ^(٣).

^(١) رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه

^(٢) الفتاوى (٦٤٤ / ٧)

^(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف (٢٢١ / ١١)

قال الإمام الشاطبي - رحمه الله -: "ومن هنا جعلت الأعمال الظاهرة في الشرع دليلا على ما في الباطن، فإن كان الظاهر منخرما حكم على الباطن بذلك، أو مستقيما حكم على الباطن بذلك" ^(١).

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله -: "وإذا نقصت الأعمال الظاهرة الواجبة كان ذلك لنقص ما في القلب من الإيمان فلا يتصور مع كمال الإيمان الواجب الذي في القلب أن تعدم الأعمال الظاهرة الواجبة بل يلزم من وجود هذا كاملا [وجود هذا كاملا]، كما يلزم من نقص هذا نقص هذا، إذ تقدير إيمان تام في القلب بلا ظاهر من قول وعمل، كتقدير موجب تام بلا موجه، وعلة تامة بلا معلولها وهذا ممتنع" ^(٢).

أيها الأحبة الكرام: الصحيح أن الظاهر عنوان الباطن، وأن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ولكننا نجد اليوم كثيرا من المسلمين إلا من رحم الله، إذا أمرته بمعروف كإعفاء اللحية، أو نهيته عن منكر كالإسبال أو التشبه بالكفار رد عليك وقال: "الأعمال بالنيات!" أو "الإيمان في القلب!" أو "العبرة بما في القلب!" أو "القلب أبيض!" أو ما شابه ذلك من عبارات مزخرفة!

^(١) الموافقات (١/ ٢٣٣)

^(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٨٢)

وإذا ناقشت صاحب هذا القول وبينت له بطلان ما قاله!

رد عليك مستدلاً على زعمه هذا! ببعض النصوص كقوله ﷺ: "التقوى هاهنا" وأشار ﷺ بيده إلى صدره^(١).

أو كقوله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات"^(٢).

أو قوله ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم"، وأشار ﷺ بأصابعه إلى صدره^(٣).

فنقول له أيها الأحبة، نحن سنترك الجواب على شبهتك لعالمين ربانيين من علماء السنة وفارسين من فرسانها (رحمهما الله وجزاهم عنا خير الجزاء)

حيث قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "نوافقه في قوله: إن التقوى في القلب، والإيمان في القلب؛ لكننا نقول له: إن الذي قال: "التقوى هاهنا" وهو الرسول ﷺ، هو الذي قال: "إنها إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله"، ففساد الظاهر عنوان على فساد الباطن، ثم إن كان هذا الفساد مخرجاً عن الإسلام كان الباطن خارجاً عن الإسلام، وإن لم يكن مخرجاً ففي القلب مرض لكنه لا يبلغ حد الكفر، فنحن نجيبه بما استدل به، نقول: أنت قلت: التقوى هاهنا ونحن نقول: الذي قال: "التقوى هاهنا" هو الذي قال: "إن في الجسد

^(١) رواه مسلم (٢٦٥٤) من حديث أبي هريرة ؓ

^(٢) رواه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر ؓ

^(٣) رواه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة ؓ

مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"، ففساد الظاهر دليل على أن الباطن فيه بلاء^(١).

وقال أيضا (رحمه الله) -: "كأنه يقول التقوى ليست في الأعمال الظاهرة فنقول له: صدقت التقوى ها هنا، ولكن لو اتقى ما ها هنا لاتقت الجوارح، لأن ﷺ قال: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب"، لو صلح القلب لصلحت الجوارح، لو صلح القلب لقام الإنسان بفعل الواجب، لو صلح القلب لترك الإنسان المحرم، كثير من الناس يكون ثوبه نازلا عن الكعبين ونزول الثوب عن الكعبين محرم بل هو من كبائر الذنوب، لأن النبي صلى الله عليه وسلم توعده عليه فقال: "ما أسفل من الكعبين ففي النار"^(٢)، فإذا قلت له: يا أخي ارفع ثوبك! قال: التقوى ها هنا، وأشار إلى صدره، جوابنا على هذا سهل نقول: لو اتقى ما ها هنا لاتقت الجوارح وهذا لا ينفعك يوم القيامة إذا وقفت بين يدي الله عز وجل، فإن الله سيحاسبك على هذا العمل وفي ذلك اليوم لن تجد من يدافع عنك لا في هذا ولا في غيره"^(٣).

وقال الشيخ الألباني -رحمه الله-: "على كل حال الظاهر عنوان الباطن وليس الأمر كما يقول بعض الناس من الشباب التائه أنه يا أخي العبرة بما في

(١) [لقاء الباب المفتوح: شريط رقم (١٣٥)]

(٢) رواه البخاري (٥٤٥٠) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) فتاوى الحرم المكي ١٤٠٩ هـ [الشريط ٦ / الوجه ب]

القلب، صحيح العبرة بما في القلب ولكن الأمر كما قيل وكل إناء بما فيه ينضح، وهذا المعنى مأخوذ من قوله عليه الصلاة والسلام: "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها الجسد كله وإذا فسدت فسد لها الجسد كله ألا وهي القلب"... لا يمكن أن تجد جسماً سليماً في الظاهر والقلب مريض، لا بد من أن يظهر أثر هذا المرض على ظاهر الجسد وكذلك بالنسبة للناحية الإيمانية، فإذا كان الإيمان هو المستقر في قلب هذا الإنسان فلا بد من أن يظهر على بدن هذا الإنسان وهذا صريح في الحديث السابق^(١).

أما استدلالك يا هذا! بقوله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات".

فقد سئل الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله) عن من يقول أو يعمل عملاً ينافي السنة والشريعة وإذا قيل له هذا خطأ قال إنما الأعمال بالنيات أو يقول الإيمان في القلب؟

فأجاب - رحمه الله -: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، هذا العذر الذي أعذر به هذا المخالف ليس مقبولا، كثيرا من الناس يفعل أشياء محرمة فإذا قلت له اتق الله يا أخي هذا محرم قال: "إنما الأعمال بالنيات".

^(١) سلسلة الهدى والنور [الشريط رقم (٤٨٨)]

فنقول له: طيب، نحن نقبل هذا الحديث، "إنما الأعمال بالنيات"، لكن هذا العمل الذي عملت عمل محرم، فما هي النية التي يمكن أن تكون بالنسبة لهذا العمل المحرم؟ كل عمل محرم فانه حرام سواء نوى به الإنسان خيرا أم نوى به شرا، مادام الشرع نهى عنه فهو حرام"^(١).

أما استدلالك بقوله ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم"!

فترده الزيادة في الحديث التي جاءت في رواية أخرى عند الإمام مسلم - رحمه الله - وغيره ولفظها: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"^(٢)

قال الشيخ الألباني - رحمه الله -: "زاد مسلم وغيره في رواية (وأعمالكم) وهذه الزيادة هامة جدا لأن كثيرا من الناس يفهمون الحديث بدونها فهما خاطئا، فإذا أنت أمرتهم بما أمرهم به الشرع الحكيم من مثل إعفاء اللحية وترك التشبه بالكفار ونحو ذلك من التكاليف الشرعية أجابوك بأن العمدة على ما في القلب واحتجوا على زعمهم بهذا الحديث، دون أن يعلموا بهذه الزيادة الصحيحة الدالة على أن الله تبارك وتعالى ينظر أيضا إلى أعمالهم فإن كانت صالحة قبلها وإلا ردها عليهم كما تدل على ذلك العديد من النصوص كقوله عليه الصلاة والسلام: "من أحدث

^(١) فتاوى الحرم المكي ١٤٠٩ هـ [الشريط ٦ / الوجه ب]

^(٢) مسلم (٢٥٦٤)

في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد^(١)، والحقيقة أنه لا يمكن تصور صلاح القلوب إلا بصلاح الأعمال ولا صلاح الأعمال إلا بصلاح القلوب^(٢).

وبهذا أيها الأحبة الكرام يتبين لنا بطلان ما يستدل به هؤلاء! وأن هذه الجملة حقيقة هي خداع للنفس وتطويل للأمل، وتزيين من الشيطان، والعياذ بالله، وأن جُلَّ من يستعملها في الحقيقة إنما هو لتبرير معصيته أو رد نصيحة وجهت له، والله المستعان.

وفي الختام أيها الأفاضل، الله أسأل لي ولكم أن يصلح باطننا ويجعل ذلك عنوانا لصلاح ظاهرنا، وأن يطهر قلوبنا أجمعين من النفاق والرياء والسمعة فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّي اللّهم وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه:

أبو عبد الله حمزة النايلي

(الخريطات / قطر)

^(١) رواه البخاري (٢٥٥٠) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة (رضي الله عنها)

^(٢) رياض الصالحين تخريج الألباني (ص ٢١)

الفهارس العامة للكتاب:

١ - فهرس الآيات القرآنية.

٢ - فهرس الأحاديث النبوية.

٣ - فهرس الآثار.

٤ - فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة

السورة

البقرة:

- ﴿ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة﴾ [٧٤] ٢١
 ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم....﴾ [١٠٩] ٤٦
 ﴿إن الذين كفروا ساءء عليهم أنذرتهم﴾ [٦-٧] ٢٢

آل عمران:

- ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه...﴾ [٧] ٢٥
 ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته....﴾ [١٠٢] ٥

النساء [١]

- ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم....﴾ ٥

المائدة [١٣]

- ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية....﴾ ٢١

الأنعام:

- ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا﴾ [٢٥] ٢٥
 ﴿أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا. ...﴾ [١٢٢] ٢٠

الأنفال [٢]

- ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم...﴾ ١٤

يونس [٥٧]

﴿يأيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم....﴾ ٣٢

الرعد [٢٨]

﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله...﴾ ١٣

النحل [١٠٨]

﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم.....﴾ ٢٣

الإسراء [٨٢]

﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ ٣٣

الحج [٥٣-٥٤]

﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض...﴾ ٧

النور [٣١]

﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ ٤٢

الشعراء [٨٨-٨٩]

﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون (٨٨) إلا من أتى الله....﴾ ٩

النمل [٨٠]

﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ ٢٠

الأحزاب:

﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ [٣٢] ٣٨

﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا...﴾ [٧٠-٧١] ٦

فاطر [٢٢]

﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ ٢٠

يس [٧٠]

﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ ٢٠

الصفات [٨٣-٨٤]

﴿وإن من شيعته لإبراهيم (٨٣) إذ جاء ربه بقلب سليم﴾ ٩

ص [٢٦]

﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض....﴾ ٣٧

الزمر [٢٣]

﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني....﴾ ١٣

محمد [٢٤]

﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ ٢٤

الحجرات:

﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ [١١] ٣١

﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [١٣] ٤٥

ق: [٣٣]

﴿وجاء بقلبٍ مُنِيبٍ﴾ ١٦

النجم [٢٣]

﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ ٣٦

الحديد [١٦]

﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله..﴾ ١١

الصف [٥]

﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ ٢٥

المطففين [١٤]

﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ ٢٥

الأحاديث النبوية

الصفحة	راوي الحديث	الحديث
٥٠	أبو هريرة	إن الله لا ينظر إلى أجسادكم
٥٠	عمر	إنما الأعمال بالنيات
٤٨	النعمان بن بشير	ألا وإن في الجسد مضغة
٤٥	أبو هريرة	بحسب امرئ من الشر
٣٩	حذيفة	تعرض الفتن على القلوب
٥٠	أبو هريرة	التقوى هاهنا
٥١	أبو هريرة	ما أسفل من الكعبين ففي النار
٥٣ - ٥٤	عائشة	من أحدث في أمرنا هذا
٤٧	أنس	لا تباغضوا ولا تحاسدوا
٤٥	أبو هريرة	لا حسد إلا في اثنتين
٤٤	ابن مسعود	لا يدخل الجنة من كان في قلبه
٤٢	الأغر المزني	يا أيها الناس توبوا إلى الله
٣١	أنس	يا مقلب القلوب ثبت قلبي

الآثار

الصفحة	الراوي	الأثر
٤٨	أبو هريرة	القلب مَلِك والأعضاء جنوده
٣٢	سهل التستري	ليس بين العبد وبين ربه طريق
٣٦	ابن عباس	لا تجالس أهل الأهواء

المصادر المعتمدة:

١. الاستقامة لابن تيمية / ط. جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض -.
٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي / ط. دار الفكر - بيروت -
٣. إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان / ط. ابن الجوزي.
٤. أمراض القلوب لابن تيمية / ط. المطبعة السلفية - القاهرة -.
٥. بدائع الفوائد لابن القيم / ط. مكتبة الباز - مكة -.
٦. تحفة الأحوزي للمباركفوري / ط. دار الكتب العلمية - بيروت -
٧. تفسير البغوي / ط. دار المعرفة - بيروت -
٨. تفسير السعدي / ط. مؤسسة الرسالة.
٩. تفسير الطبري / ط. دار الفكر - بيروت -
١٠. تفسير القرطبي / ط. دار الشعب - القاهرة -
١١. تفسير ابن كثير / ط. دار الفكر - بيروت -.
١٢. تهذيب الأسماء واللغات للنووي / ط. دار الفكر - بيروت -.
١٣. جامع رسائل ابن تيمية / ط. مصر، ت. محمد رشاد سالم.
١٤. الدر المنثور للسيوطي / ط. دار الفكر - بيروت -.
١٥. الروح لابن القيم / ط. دار الكتب العلمية - بيروت -.
١٦. روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي / ط. المكتب الإسلامي - بيروت -.
١٧. رياض الصالحين للنووي / ط. تحريج الألباني (ط. المكتب الإسلامي - بيروت -).
١٨. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي / ط. دار النشر - المكتب الإسلامي -.
١٩. زاد المعاد لابن القيم / ط. مؤسسة الرسالة.

٢٠. سنن الترمذي / ت. بشار عواد، دار الغرب.
٢١. الشريعة للأجري / ط. دار الوطن.
٢٢. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم / ط. دار الفكر.
٢٣. صحيح البخاري / ط. دار الأفكار.
٢٤. صحيح مسلم / ط. دار المغني.
٢٥. طريق المهجرتين لابن القيم / ط. دار ابن القيم - الدمام -.
٢٦. الصواعق المرسلة لابن القيم / ط. دار العاصمة.
٢٧. عمدة القاري شرح صحيح البخاري للنعيني / ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت -.
٢٨. غريب الحديث للخطابي / ط. جامعة أم القرى - مكة المكرمة -.
٢٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر / ط. دار المعرفة.
٣٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب / ت. طارق عوض الله، ط. ابن الجوزي.
٣١. الفوائد لابن القيم / ط. دار الكتب العلمية - بيروت -.
٣٢. لسان العرب لابن منظور / ط. دار صادر، بيروت.
٣٣. مجموع الفتاوى لابن تيمية / ط. مكتبة ابن تيمية.
٣٤. مدارج السالكين لابن القيم / ط. دار الكتاب العربي - بيروت -.
٣٥. مصنف ابن أبي شيبة / ط. مكتبة الرشد - الرياض -.
٣٦. معجم مقاييس اللغة لابن فارس / ط. دار الجليل - لبنان -.
٣٧. مفتاح دار السعادة لابن القيم / ط. دار الكتب العلمية.
٣٨. منهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي / ط. دار المعرفة.
٣٩. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير / ط. لمكتبة العلمية - بيروت -.
٤٠. الوابل الصيب من الكلام الطيب لابن القيم / ط. دار الكتاب العربي - بيروت -.

الفهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب	٥
(١) القلب السليم	٩
صفات القلب:	١٠
١- الخشوع	١١
٢- الإخبات	١٢
٣- اللين	١٣
الوجل	١٤
الاطمئنان	١٥
الإنابة	١٦
(٢) القلب الميت	١٩
١- القسوة	٢١
٢- الختم	٢٢
٣- الطبع	٢٣
٤- القفل	٢٤
٥- الزيغ	٢٥
علاج القلب الميت	٢٧
١- التوبة النصوح	٢٩
٢- دعاء الله والاستعانة به سبحانه	٣١
٣- طلب العلم النافع	٣٢
٤- إدمان النظر في كتاب الله تعالى، وتدبر آياته	٣٢
(٣) القلب المريض	٣٤
علاج القلب المريض	٤١
من صلح قلبه صلح جسده قطعاً	٤٨